الشعر

(تابع لما في الجزء السادس)

ومن تتبع كلام الشعرآء وجد من تبسطهم في المعاني وتفننهم في تصويرها ما لا يحيط به الحصر ولذلك نكتفي بما أوردناهُ في هذه العُجالة للمقابلة بين المعنى الشعريّ والمعنى العاميّ ومن أراد الوقوف على اكثر مما ذكرنا فليرجع الى كتب البديع فان معظم مدارها على هذه الفنون

على ان اكثر ما تجدهُ من هذا التفنن في المعاني من مخترعات المولدين وقد كان شعر المتقدمين عن الكثير منهُ بمعزل وانما كانت عناية المجيدين منهم اذا أخذوا في شقٍ من الكلام ان يجعلوهُ تاماً مستوفي الجهات وصفاً كان أو غيرهُ فيعطونهُ حقهُ من السرد والاحاطة مع مراعاة وجوه المقابلة بين أطراف المعاني والربط بينها بموافقةٍ أو مضادّة أو التقفية عليها بنحو استدراكٍ أو تذييل مما لا يخرج عن السياق الطبيعي وذلك على غير قلقٍ في التنسيق ولا غلوٍ في الوصف ولا ابعاد عن الحقيقة خلا ما تزيَّن بهِ أحياناً من الصور المجازية أو يُقرَن بها من ضروب التشابيه التي هي نوعٌ من الحقيقة وهو أظهر ما يمتاز بهِ شعر المتقدمين عن شعر المولدين ونحن نورد هنا شيئاً من كلامهم يظهر به مذهبهم فيهِ كقول الحطيئة

وفتيانِ صدقٍ من عديٍّ عليهم　　صفائحُ بُصرَى عُلّقت بالعواتقِ
اذا ما دُعُوا لم يسألوا من دعاهمُ　　ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافقِ
وطاروا الى الجُرد العتاق فألجموا　　وشدّوا على أوساطهم بالمناطقِ

الصفائح السيوف وبُصرَى بلدةٌ بالشأم اشتهرت بصنع السيوف والجرد

الخيل القصار الشعر والعتاق الكريمة . يصفهم بالبسالة والتأهب للنزال والخفوف لنجدة الداعي على غير اهتمام بمعرفته ولا مبالاةٍ بما وراءهُ من العظائم وهي نهاية ما يوصف بهِ الشجاع وكل ذلك من الوصف الطبيعي كما تراهُ الا انهُ استوفى المعنى فيهِ الى آخر دقائقهِ . وكقول عنترة

ولقد شربتُ من المدامة بعد ما ... ركد الهواجر بالمشوف المُعلَمِ
بزجاجةٍ صفراء ذات اسرّةٍ ... قُرنت بأزهر في الشمال مفدَّمِ
فاذا شربتُ فانني مستهلكٌ ... مالي وعِرضي وافرٌ لم يُكلَمِ
واذا صحوتُ فما أقصّر عن ندًى ... وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي

وصف حال شربهِ ووقتهُ وآنية شرابهِ ثم وصف نفسهُ في حال الشرب بانهُ اذا سكر بذل مالهُ على أصحابهِ ولكنهُ لا يتهتك ولا يخرج عن تصوّنهِ وعفافهِ ثم أتمّ المعنى بان ما ذكرهُ من السخاء غير مقصورٍ منهُ على حال الشرب ولكنهُ اذا صحا كان كذلك ومحصَّل المعنى انهُ سخيٌّ بمالهِ ضنينٌ بعرضهِ وانهُ اذا سكر لم يخرجهُ السكر الى التهتك واذا صحا لم يخرجهُ الصحو الى الشحّ فاستوفى وصف نفسهِ في الحالين . ومن هذا قول حاتم الطائي

بُلينا زمانًا بالتصعلك والغنى ... وكلٌّ سقاناهُ بكأسيهما الدهرُ
فما زادنا بغيًا على ذي قرابةٍ ... غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقرُ

يقول انهم تعوّدوا شدة الدهر ورخاءهُ فهم اذا كانوا في ثروةٍ ويسر لم تبطرهم النعمة ولم يحملهم الغنى على البغي واذا أدركهم الفقر ومسّتهم الضرورة لم يلجئهم ذلك الى الضراعة ولم يُزرِ بأحسابهم . فترى ان كل واحدٍ من هؤلاء الشعراء قد عمد الى المعنى الواحد فاستوفى أطرافهُ وأحاط بجميع

وجوههِ حتى أصبح قائمًا بنفسهِ لا يعتورهُ نقص ولا تصاب فيهِ ثلمةٌ للنقد. وهذا أصلٌ من الاصول المعتبرة في الشعر وهو محطّ البلاغة وسعة تصرف الخاطر ولذلك لا يكاد يهجم عليهِ الا اكابر الشعرآء المجيدين من الجاهلية كانوا او المولدين. وهو في شعر المولدين اقلّ لبعد مأتاهُ وخشونة مركبهِ مع انصرافهم عنهُ الى العناية بالمعنى الجزئيّ وابرازهِ في الصور الغريبة ومن امثلتهِ في كلامهم قول ابرهيم بن العباس الصولي وهو من شعرآء الدولة العباسية

ساشكر عمرًا ما تراخت منيّتي ... ايادي لم تُمنَن وان هي جلَّتِ
فتىً غير محجوب الغنى عن صديقهِ ... ولا مظهرِ الشكوى اذا النعل زلَّتِ
رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيهِ حتى تجلَّتِ

خلتي فقري والقذى ما يقع في العين من غبارٍ ونحوهِ. وقول الشريف الرضي

ولقد وقفت على ربوعهمِ ... وطلولها بيد البلى نهبُ
فبكيت حتى ضجَّ من لغبٍ ... نِضوي ولجّ بعذليَ الركبُ
وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عني الطلول تلفت القلبُ

اللغب الاعيآء والنِضو البعير المهزول. ومن هذا قول ابي الحسن الجُرجاني

وقالوا توصَّل بالخضوع الى الغنى ... وما علموا ان الخضوع هو الفقرُ
وبيني وبين المال شيئان حرّما ... عليَّ الغنى نفسي الابيةُ والدهرُ
اذا قيل هذا اليُسر ابصرتُ دونهُ ... مواقف خيرٌ من وقوفي بها العسرُ

وقول ابن حزم

لئن اصبحتُ مرتحلاً بجسمي ... فقلبي عندكم ابدًا مقيمُ
ولكن للعيان لطيفُ معنىً ... لهُ طلب المعاينةَ الكليمُ

ومن الطف ما جآء من هذا النوع قول الوأوآء الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني   وعاتباهُ لعل العتب يعطفهُ
وعرّضا بي وقولا في حديثكما   ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ
فان تبسم قولا في ملاطفةٍ   ماضرٌّ لو بوصالٍ منك تسعفهُ
وان بدا لكما في وجهه غضبٌ   فغالطاهُ وقولا ليس نعرفهُ

فانك ترى في هذه الامثلة كلها من استقلال المعاني واستكمال اجزآئها وارتباطها مع النظر في اعطاف كل معنى لاستنباط دقائقهِ ما لو استمرّ على مثلهِ شعرآء المولدين لم يتعلق بشعرهم شعر احد من الجاهليين . وعندنا ان هذا هو الاسلوب الذي كان ينبغي ان ينبه عليهِ جهابذة هذا الشأن في النسج على منوال الاوائل وهو عمود الشعر الصحيح ومحط رحال بلاغتهِ ومبدأ حلبة المجيدين فيهِ . واذا استقريت شعر المولدين من اول صدر الاسلام فما يليهِ وجدت اوائلهُ وما كان منهُ لعصر الامويين وأوائل عهد العباسيين اشبه بشعر الجاهليَّة لجريهم فيهِ على ما تلقوهُ من اسلوبهم خلا ما فضلوهم فيهِ من التأنق في اختيار الالفاظ وما على شعرهم من مسحة الحضارة التي فاتت اشعار الاولين ثم تجدهُ بعد ذلك يباينهُ عصراً بعد عصرٍ بتبدُّل الذوق والخروج الى الصنعة والولوع بالإغراب واستكراه القرائح على النظم الى ان تجد اهلهُ قد صرفوا دقة نظرهم الى التشاغل بالمعاني الجزئيَّة دون الربط بين جملة معاني الابيات وصار معظم عنايتهم بالتفنن في الخيال المحض والامعان في ابتكار الغريب الى ما يتصل بذلك من الفنون البديعية مما ترى شرحهُ وامثلتهُ في اماكنهِ ثم انتقلوا الى الاشتغال بالجناسات

اللفظية والخطّية لعجزهم عن استنباط المعاني وقصورهم عن الوصف الصحيح الا ما ندر بحيث اصبح الشعر صورةً لا معنى لها الى ما انتهى اليهِ في عصرنا هذا من الاكتفآء بالوزن والقافيـة على ما في كثيرٍ منهُ من الخلل حتى في هذا القالب المحسوس بحيث صرت ترى الزجل العاميّ وما اشبههُ خيراً من كثيرٍ مما تسمعهُ حتى من شعر بعض الخاصّة

والسبب فيما ذكرناهُ ان المولدين لما اوغلوا في اودية الشعر وصار صناعة يُتكسب بها واقبل الملوك والكبرآء على الشعر وأغلوا سيمتهُ واجازوا اربابهُ الجوائز السنية اخذوا يتبسطون فيهِ وتناولوا اغراضهُ من كل صوب فاتسع لهم المجال فيهِ ولاسيما مع كثرة الاغراض واختلافها مع ما تقتضيهِ حال الملك والبسطة في الغنى واتساع آلات الدولة ومرافق المدنية وتواتر الغزوات والفتوح ومع اختلاف ما يكتنفهم من الاشيآء التي كانوا يتناولونها في الاستعارات والتشابيه مما لم يكن للبدويّ فيهِ يدٌ ولم يقع تحت حسهِ. وذلك فضلاً عن ان البدويّ لم يكن يتكلم الا في اغراضهِ الخاصة ووصف الشؤون التي وقعت لهُ والشاعر الحضريّ لما كان مدعوًّا الى النظم فيما هو ورآء شأنهِ الخاص من وصف رونق الملك ومظاهر الابهة وزخارف الحضارة واشيآء الترف اخذ ينظر فيما حولهُ واختلق بدائع الصور وغرائب التماثيل فتفنن في المعاني بما لم يبلغهُ البدوي ولم يكن لهُ اليهِ سبيل ولذلك غلبت على شعر المولدين الصنعة والتفنن في استنباط المعاني النادرة وابرازها في القوالب الناصعة من اللفظ دون الصدور عن تلقين الطبع ووحي القريحة الصرفة . ولهذا فانك كثيراً ما ترى تفاوتاً في شعر الشاعر الواحد بين ان ينظم في اغراض نفسهِ ويتكلم

فيما يبعثهُ عليهِ طبعهُ او يتوخى مدحاً لاحد الرؤساء او تهنئةً او غير ذلك من الاغراض المستدعاة التي يسخّر فيها قريحتهُ للكلام في امورٍ ليست في شيء من غرضهِ ووجدانهِ او يتوخى مباراة سائر الشعراء في اختراعاتهم للمعاني وايغالهم في طلب الغريب منها . وهذا لا تكاد تراهُ في شعر المتقدمين لانهُ لم يكن يعترض قرائحهم هوى ممدوح ولا ارضاء مستجدًى ولم يكن بينهم مباراةٌ الا في الكشف عن المعاني الطبيعية والاحاطة ببليغ الاوصاف وخفيّها مما تمثّل بهِ الصورة الطبيعية بابلغ ما تصل اليهِ الملكة اللسانية . وذلك لا يقتصر على المعنى الواحد ولكنهُ كثيراً ما يتعدى الى تعداد صفاتٍ كثيرة يجرون بها على مثل ما ذكر وهذا ولا شك اعزّ منالاً واوعر مسلكاً والفائزون بغرورهِ قليل نذكر منهُ قول زينب بنت الطثرية ترثي اخاها يزيد

فتًى قُدَّ قدَّ السيف لا متآزفٌ ولا رَهِلٌ لَبّاتهُ وبآدله

المتآزف القصير الخطو والرَهِل المسترخي اللحم واللبّات اعالي الصدر والبآدل جمع بأدلة وهي لحمةٌ بين الابط والثندوة

فتًى ليس لأبن العمّ كالذئب ان رأى بصاحبهِ يوماً دماً فهو آكله
يسرُّك مظلوماً ويرضيك ظالماً وكل الذي حمّلتهُ فهو حامله
اذا جدَّ عند الجدّ ارضاك جدُّهُ وذو باطلٍ ان شئت الهاك باطله
فتًى لا يرى ما فاتهُ مهلكاً لهُ ولا الخلدَ ما ضمّت عليهِ انامله
وقد كان يروَى المشرفيُّ بكفهِ ويبلغ اقصى حَجْرة الحيّ نائله

الحَجْرة الناحية والنائل العطاء .

اذا القوم أمّوا بيتهُ فهو عامدٌ لأحسن ما ظنّوا بهِ فهو فاعله

فانظر الى هذه الاوصاف البديعة التي تمثل صاحبها في اشرف حال من كمال الخَلق والخُلق والاستيلآء على المحامد وعلوّ الهمة وكرم الخلال من غير ان ترى فيها شيئاً من الغلوّ الذي تراهُ في شعر المولدين ٠ لا جرم ان مثل هذا الوصف اوقع في النفس واجدى في باب المدح من تلك المبالغات السمجة التي ترى عليها مسحةً من الكذب ولا تفيد شيئاً في تصوير صفة الممدوح اذ لا يعيرها السامع جانب التصديق ولا يتصور فيها شيئاً من الحقيقة ولكنها مجرد تلاعبٍ في الكلام لا يخرج في نظر الناقد عن باب الفكاهة والملحة بل ربما خرجوا بالكلام الى حد الهذيان كقول المتنبي

وأُقسمُ لولا أنّ في كل شعرةٍ لهُ ضيغماً قلنا لهُ انت ضيغمُ

يقول لولا ان في كل شعرةٍ من ممدوحهِ اسداً اي لولا ان شجاعتهُ تزيد على شجاعة الاسدِ بعدد شعر بدنهِ لسماهُ اسداً ٠ وانظر اين هذا من قولهِ

ولولا احتقار الأُسد شبهتهم بها ولكنها معدودةٌ في البهائمِ

فانهُ ذكر هنا وجهاً صحيحاً لانهُ فضلّهم على الأُسد بالانسانية لا بكونهم اشجع منها فضلاً عن ان تقوم كل شعرةٍ منهم مقام اسد ٠ وكقول الآخر

لو لم تكن نية الجوزآء خدمتهُ لما رأيت عليها عقدَ منتطقِ

الجوزآء من صور الكواكب في وسطها ثلاثة انجم مصطفّة يسمونها نطاق الجوزاء يقول لولا ان الجوزآء تنوي خدمة الممدوح لما عقدت النطاق في وسطها وهو كالمئزر يشدّهُ الخادم في وسطهِ ٠ واصحاب البديع يرون هذا من حسن التعليل وقد ذهلوا عما فيهِ من الافراط في الغلوّ حتى صار اشبه بالهزؤ منهُ بالمدح ٠ وقول ابي تمام

بيومٍ كطول الدهر في عرض مثلهِ　　　ووجديَ من هذا وهذاك اطولُ

اراد ان يبالغ في طول اليوم فجعلهُ كطول الدهر ثم لم يكفهِ حتى جعل لهُ عرضاً ولم يُسمع ان للزمان عرضاً الا في هذا البيت. واغرب منهُ قول الآخر

اسكرُ بالامس ان عزمتُ على الـ　　　شرب غداً انَّ ذا من العجبِ

وصدق انهُ من العجب ولكن اعجب منهُ ان يخترع المرء مثل هذه الخرافة ثم يتعجب منها . ومن ذلك قول الحلي

لو قابل الاعمى غدا بصيرا　　　ولو رأى ميتاً غدا منشورا

ولو يشا كان الظلام نورا　　　ولو اتاهُ الليل مستجيرا

آمنهُ من سطوات الفجرِ

وكل هذا مما لا يقبلهُ العقل ولا يحسن في الذوق ولا فيهِ شيءٌ من الاختراع انما هو ان يعمد الشاعر الى الاحوال الطبيعية وهي بين يديهِ وفي ذهن كل احد فينقضها او يخرجها الى ما وراء حدودها فيقول فلانٌ اذا زجر الريح مثلاً وقفت عن مسيرها واذا غضب على الشمس لم تشرق ولو شاء لجعل البحر في كفهِ ولو ضرب بسيفهِ الجبل لقدَّهُ وقس على ذلك مما لا يصعب على الفكر الانتقال اليه بل الذي عندنا ان كل ذلك مهما اختلفت صورهُ لا يُعَدّ الا معنًى واحداً اذ حاصل هذه الصور كلها امرٌ واحد وهو اخراج الاشياء عن مطبوعها　　　(ستأتي البقية)

اللؤلؤ

ما برح اللؤلؤ من أقدم زمن محلاً لتنافس الملوك والكبراء وأرباب الثروة والترف ولعلهُ الصنف الوحيد من المركَّبات الحيوانية الذي ضارع

الجواهر المعدنية وعمّ استعمالهُ في المصوغات والملابس وسائر أدوات الزينة ·
والظاهر انهُ أول ما استُعمل في نواحي آسيا لكثرتهِ على شطوط البحر الهندي ولم يُعرَف عند اليونان الا منذ عهد الحروب المادوّية وقد وُجد شيء منهُ في مدافن المصريين من زمنٍ لعلهُ يقرب من عهد موسى وأما عند الرومان فكان في غاية الندور الى حرب الجمهورية مع متريدات ثم شاع استعمالهُ وصار من لوازم زينة النسآء حتى يقال ان لوليا بولينا زوجة الامبراطور كليغولا كانت تتزين منهُ بما تنيف قيمتهُ على ثمانية ملايين من الفرنكات وانتشر استعمالهُ بعد ذلك في سائر أوربا وكثر التنافس بهِ حتى ان بعض مترفات النسآء كنّ يخطنهُ على أحذيتهنّ

أما تركيب اللؤلؤ فهو من طبيعة الصدف أي مؤلف من كربونات الكلس يخالطهُ مادةٌ حيوانية وهو يتولد في باطن الصدف اما لاصقاً بهِ أو منفصلاً عنهُ في جوف الحيوان الذي يستبطنهُ وهو في الحالين ينشأ عن حدوث أذًى من جرحٍ أو وخز يلحق الصدفة من قِبَل نهش بعض الهلاميات المفترسة أو دخول جسمٍ غريب الى جوف الحيوان من حبّ رملٍ أو غيرهِ يتأذى بهِ فيدعوهُ ذلك الى افراز مادةٍ صدفية لزجة تسد ذلك الجرح أو الوخز أو تغلّف الجسم الغريب فيجتمع هناك عدة طبقات رقيقة يتراكب بعضها فوق بعض وتزداد بالتدريج حتى تصير كتلةً مجتمعة هي الدرّة الا أن الدرّ الذي يتكون في جوف الحيوان يكون على الغالب أجمل وأتمّ استدارةً من الذي يتكون على جدار الصدفة

واكثر ما ينشأ اللؤلؤ في خليج فارس وشطوط اليابان وجزيرة سيلان

ولهُ مغاوص أيضاً في خليج المكسيك وشطوط هولندا الجديدة . وأشهر مغاوصهِ الذي عند جزيرة سيلان ومسافتهُ امام الجزيرة تبلغ نحواً من عشرين ميلاً . وهو يصاد هناك من اوائل فبراير الى أواخر ابريل فيجتمع الغواصون في هذا الفصل من كل سنة زرافاتٍ ويغوص الرجل بين سبع وثماني مرات في صباح كل يوم يلبث في كلٍ منها تحت المآء من دقيقتين الى خمس ويصطاد من ٣٥٠ الى ٤٠٠ صدفة يجعلها في شبكة أو شكيكة اي سلة يستصحبها لذلك فاذا خرج أفرغها على حُصرٍ تُبسَط في قعر حفرةٍ وتُترَك الصدف معرّضةً للهوآء والشمس حتى تنفتح فيفسد لحمها وبعد انحلاله تُخرَج اللآلئ التي تكون فيها وتُغسَل وتُجلَى بمسحوق الصدف ثم توضع في غرابيل متفاوتة اتساع الخُرَب فيتميز كل حجم منها وحدهُ وبعد ذلك يثقبونها وينظمونها في السموط

وحجم اللؤلؤ يختلف فيكون تارةً اصغر من حبة الكزبرة وتارةً اكبر من بيضة الحمام والكبير منهُ نادرٌ وثمنهُ يكون تبعاً لحجمهِ لا لوزنهِ على حد سائر الجواهر الكريمة وقد كان العرب يضربون المثل بقرطي مارية وهي مارية بنت ارقم بن ثعلبة الحميريّ من ملوك اليمن كان لها قرطان كل واحدٍ منهما درّةٌ كبيرة كبيضة الحمامة واكبر ما ذُكر من الدرّ في ايامنا دُرّةٌ جاء بها رجلٌ من المكسيك الى لندرا سنة ١٨٨٤ وزنها ٩٣ قيراطاً اي ما يقرب من ٦ دراهم قُدّرت قيمتها بنحو ٣٥٠٠ جناي

وقد تقدم ان اللؤلؤ ينشأ عن حدوث جرحٍ ونحوهِ يلحق الصدف وقد تنبه الناس لذلك فيهِ فعمدوا الى حمل الصدف على افرازهِ بالحيلة واول

من فعل ذلك فيما روى ابولونيوس الشاعر اليوناني العرب القاطنون على شواطئ الخليج الفارسي قال فانهم لما رأوا هذه الاصداف تفرز في موضع الجرح سيّالاً اذا جفّ كان لهُ لمعةٌ قُزَحيةٌ تمثل لهم ان يستخدموا ذلك لاستخراج الدرر بالطريقة الصناعية فكانوا يصطادون الاصداف حيّةً ويجرحونها بنحو مسلّةٍ يدخلونها في مَشَقّ الصدفة ثم يطرحونها في منخلٍ من حديد على اناء مملوء مآء فيتساقط السيال الذي يخرج من جراحها في المنخل على هيئة قطرٍ مستدير ثم يجمد فيكون لؤلؤًا ۰ اه ۰ وفي هذا القول الاخير مبالغةٌ لا تخفى الا ان الامر في اصلهِ غير بعيدٍ عن الامكان فان اهل الصين فيما يقال يستخدمون هذه الطريقة الى اليوم فيعمد اهل الصناعة منهم الى الصدف الحيّ و يغرزون في احد جانبيهِ طرف سلكٍ من حديد و يعيدونهُ الى المآء فيفرز حول موضع الجرح مادّةً شبيهةً بالصدف تتصلب شيئاً بعد شيء فيأخذونهُ بعد ذلك و ينزعون ما أُفرز منهُ لكن اللؤلؤ الذي يتخذ بهذه الطريقة لا يكون تامّ الشكل ولذلك لا يصلح الا لبعض الصناعات

وقد عمد صناع اوربا في محاكاة اللؤلؤ الى غير ذلك فصنعوا اولاً لآلئ خرطوها من الصدف نفسهِ الا انها جآءت مباينةً لمنظر اللؤلؤ فلم يُرغَب فيها فعدلوا الى الطريقة التي كانت تُستعمل قديماً في البلاد المصرية والفينيقية وهي ان يعتاضوا عن الصدف بالزجاج قيل واول من خطر لهُ ذلك زجّاجان من اهل البندقية نحو سنة ١٤٠٠ ولذلك سُمّي هذا الصنف باللؤلؤ البندقي وكان يُصنع من زجاجٍ ابيض يشبه لون الصدف يُنفَخ و يُملأ صمغاً او شمعاً فانتشرت هذه الصناعة لوقتها الا انهُ كان لا يزال ناقصاً عن شبه اللؤلؤ

لخلوّهِ من اللمعة القُزَحيّة التي يمتاز بها اللؤلؤ الطبيعي . واخيراً توصل الى انشآء هذه اللمعة بالطريقة الصناعية رجلٌ فرنسوي كان يعمل السُبَح يقال لهُ ياكين فانهُ عمد سنة ١٦٨٠ الى صنع لآلئ يخرطها من النِهآء وهو حجرٌ ابيض ارخى من الرخام او يصنعها من عجين الورق ثم يطليها بطبقةٍ رقيقة من مادّةٍ قُزَحية اتخذها من حراشف صنف من صغار السمك فضيّ اللون بأن نزع حراشفهُ ونقعها في المآء حتى لانت وانحلّ ما عليها من مادّة اللون الفضيّ فأخذ تلك المادة بعد ما صفّى المآء من منخل وحفظها في الامونياك. ثم في سنة ١٦٨٥ استبدل كرات النِهآء بكُراتٍ جوفآء من الزجاج طلاها من داخل بالمركب نفسهِ وهي الطريقة التي اعتُمدت مذ ذاك ثم ادخل عليها تحسيناتٍ شتى صارت بها من اجمل ما يتخذ للزينة حتى في البلاد التي يكثر فيها اللؤلؤ الطبيعي

مطالعات

حرير الهُلام (الجلاتين) — اخترع المسيو آدم ميلر من اهل غلسكا بأ كوسيا ضرباً من الحرير اتخذهُ من خيوط الهلام وذلك بان اخذ محلولاً من هذه المادة وركّزهُ اي اغلاهُ حتى طارت منهُ كل مادّةٍ مآئية وافرغهُ وهو حارٌّ في انابيب شعرية فتكوّن منهُ خيوطٌ في غاية الدقة فلفها على بكر وبخرها عدة ساعات ببخار الفرملدهيد حتى امتنع قبولهـا للذوبان . وخيوط هذا الحرير شديدة اللمعان الا انها جافية الملمس واذا جُعلت في المآء البارد تجعد وتسترخي ومتى جفت تعود الى صلابتها ولكن يذهب لمعانها . وقد اخذت

الشركات الانكليزية تصنع هذا الحرير بمقادير كثيرة ويباع الكيلغرام منهُ بتسعة فرنكات

سرعة الريح ـ رُوقبت سرعة الريح في اعلى برج ايفيل فكانت مطّردة مدة الليل كلهِ على اختلافٍ لا يُذكر الى شروق الشمس ثم اخذت تتباطأ وكان معظم بطئها بعد الظهر . وذلك بخلاف المعهود منها على سطح الارض فانها تشتد من حين طلوع الشمس الى نحو الساعة الاولى بعد الظهر ثم تتباطأ شيئاً فشيئاً الى آخر الليل والظاهر ان هذا التفاوت مترتبٌ على اختلاف طبقات الهوآء ومن هنا يُعلَم انهُ يكفي ان يُرتقَى الى علو ٣٠٠ متر حتى يُعلَم حال الريح في الجبال اي ان معظم سرعتها مع الاستمرار يكون ليلاً ثم تتناقص نهاراً بما يعترضها من الحركة العمودية الناشئة عن سخونة الارض

اصل حلقات زُحَل ـ من رأي المسيو بوغورُذسكي والمسيو غريغوروفتش من علمآء الهيئة في موسكو ان حلقات زُحل مؤلفة من مذنَّب اجتذبهُ السيَّار اليهِ على حد سائر حلقات الشهب الدائرة حول الشمس . وقد بنيا هذا القول على ماظهر لهما من الاختلافات الطبيعية بين زُحل وحلقاتهِ

عِيُّ الصمت احسن من عِيّ المنطق

وددنا لحضرة الاب شيخو لو ثبت على ما وعد بهِ آخراً من ان يعيرنا سكوتهُ ويمسك عن الكلام فيما نُظهِر من اغلاطهِ وان كنا نودّ ان لا يفوتنا

سماع اجوبتهِ والتفكه بما يورد علينـا من فنون احتجاجهِ ولكن الظاهر انهُ عزّ عليهِ ان يكتم بضاعة علمهِ ولا يطلعنا كل مرةٍ على ما لا نجدهُ في كتبهِ مما يزيد في كشف مقاتلهِ ويزيد سلاحنا عليهِ شوكةً ونفوذاً

واغرب ما رأينا لهُ من ذلك ما جآءَ في الجزء الاخير من المشرق ردًّا على ما ذكرنا من جواب السائل عن بيتي عديّ بن زيد وهذا نص ما جآء في صفحة ٩٤ من السنة الثالثة نوردهُ بلفظهِ الشائق قال

« سئلنا عن بيتين لعديّ بن زيد ذكرناهما في شعرآء النصرانية (ص ٤٤٢) أهما من بحر الرمل كما قلنا او من بحر الهزج كما صحح البعض والبيتان المذكوران كما ترى

أيها الركب المخبّو ... ن على الارض المجدّونا
كما كنتم كذا كنّا ... كما نحن تكونونا

« ج ان هذين البيتين من الرمل لا من الهزج مهما زعم الزاعم والدليل على ذلك انهما وردا في الكتب القديمة على صور مختلفة تراها كلها تنطبق مع الرمل دون الهزج فكتاب الاغاني مثلاً (٢ : ١٨) رواهما

أيها الركب المخبّو ... ن على الارض المجدّون
فكما كنتمُ كنـا ... وكما نحن تكونون

قال « وهذه الرواية اصح من الرواية السابقة وهي من الرمل لا من الهزج والالف في « كما » مختلسة في كلتا الروايتين كما ترى بالتقطيع وفي روايتنـا اختُلست الف « كذا » ايضاً ل . ش » (اي لويس شيخو) . انتهى كلامهُ لله درّهُ

فليتأمل المطالع اللبيب هل رأى في زمانهِ اعجب من هذا الدفع ولنفرض مع حضرة الاب ان هذين البيتين رُويا على صورٍ مختلفة (اي ثلاثٍ فما فوق ...) كما يقول فهل كان سؤال السائل عن تلك الصور المختلفة ام عن الصورة التي رواها في شعرآء النصرانية . واذا كانت تلك الصور كلها تنطبق مع الرمل (كذا) فهل يلزم من ذلك ان تكون الصورة التي رواها هناك تنطبق « مع » الرمل ايضاً . ثم باي دليل من أدلة علمهِ حكم بان الرواية التي يزعم انهُ نقلها عن الاغاني اصح وهل من مجازفةٍ بعد هذا القول والا فما هذه الفآء في صدر البيت الثاني ولمَ عدل فيهِ عن قولهِ « كما انتم » كما هي الرواية الاصلية الى قولهِ « كما كنتم » وايهما يقتضي سياق المعنى . وعلى تسليم ان الرواية المذكورة اصح فلمَ لم يعتمدها في شعرآء النصرانية وكرر البيتين في مجاني الادب (ج ٢ ص ١٨) بالصورة نفسها . على انا قد راجعنا رواية الاغاني لهذين البيتين(١) فوجدناهما بهذه الصورة

ايها الركب المخبون   على الارض المجدّون

كما انتم كنا و   كما نحن تكونون

وهما من الهزج كما لا يخفى بنآء على خزم البيت الاول كما ذكرناهُ هناك وعلى ضمّ الميم من انتم في صدر البيت الثاني . وبقي هنا ان يعلمنا كيف جاز على رأيهِ اختلاس الف « كما » والف « كذا » واين رأى مثل هذا الاختلاس الا في شعر بعض المبتدئين ممن تعلموا القرآءة عند امثال حضرة الاب فلم يميزوا الفرق بين حرف المدّ والحركة . وبعد هذا كلهِ فلا بأس ان نجاري

---

(١) انظر الجزء الثاني من الاغاني طبعة بولاق ص ٣٤

الاب على كل ما زعم ونعمد الى تقطيع بيتيهِ بعد اختلاس الالفين كما يريد حتى لا يصدر في هذا المقام الاَّ عن تمام رضًى . والبيت الثاني بعد الاختلاس المذكور يأتي على هذه الصورة

كمْ كنتم كذَ كنَّا　　كمَ نحنُ تكونونا

وهذه صورة التقطيع

أَيْهُرَرَكَ . بِلْمُخبِبُو　　نَعَلاَأَرْ . ضِلْمُجِدْدُونَا

فاعلاتن . فاعلاتن　　فَعِلاتن . فأعلاتنتن

كَمْكُنْتُمْ . كَذَ كُنْنَا　　كَمَنحْنُ . تَكُونُونَا

فَعِلاتن . فَعِلاتن　　فَعِلاتُ . مفاعيلن

وعهدُنا بحضرة الاب انهُ من الذين الّفوا في العروض فليقل لنا هل جاء الرمل في كتابهِ او في شيءٍ من الكتب الكثيرة التي قرأها على هذه الصورة . ثم انهُ يقول ان الف « كما » مختلسة « في كلتا الروايتين » اي في الرواية التي يزعم انهُ نقلها عن الاغاني ايضاً فيكون البيت الثاني من هذه الرواية على هذه الصورة

فكمَ كنتمُ كنا　　وكمَ نحنُ تكونون

وهذه صورة تقطيعهِ

فَكَمَكُنْ . تُمكُنْنَا　　وَكَمَنَحْ . نُتُكُونُونْ

فَعِلَتن . فَعِلاتن　　فَعِلَتن . فعلاتان

وهذا كما تراهُ اقرب الى المجتثّ منهُ الى الرمل لان « فَعِلتن » يمكن ان تكون محوّلةً عن مستفعلن بالخبل ولا نعلم وجهاً يصير بفاعلاتن الى فَعِلتن . وبعدُ

فما ندري لمَ يريد ان يختاس الالف هنا مع انها لو بقيت لكان وزن البيت صحيحاً لأن الجزء حينئذٍ يجيء على « فَعِلاتن » فيبقى البيت من الرمل كما هو مرادهُ وهو غريب

واخيراً فعلى فرض ان هذا التخليط المموَّه جاز علينا وعلى كل من اطّلع عليهِ وصح ان هذين البيتين من الرمل ولو قال الناس كلهم انهما من الهزج وعددنا كل اقوالهم «زعم زاعم» على حد جميع المآخذ التي رُمي بها حضرة الاب من « ابيات الحلي » الى حديث «القمر والمُذّ» الى « بيت اللازورد » الى آخر ما دافع عنهُ مما لا يزال الادبآء يتعجبون من براعتهِ فيهِ الى اليوم فما يصنع بسائر الابيات والقصائد التي رواها في شعرآء النصرانية ومجاني الادب وعلم الادب والالفاظ الكتابية وخلط في تسمية ابحرها او أفسد اوزانها بما لا يذكر معهُ غلطهُ في هذين البيتين . ولئلا يظن ان في هذا القول شيئاً من المبالغة او الافتئات فانا نستأذن المطالع الكريم في ايراد بعض ما اتفق لنا العثور عليهِ في الكتب المذكورة وان اطلنا عليهِ بعض الشيء . فمن ذلك ما رواهُ في شعرآء النصرانية (صفحة ١٣) لامرئ القيس وزعم انهُ « من بحر الرجز »

تطاول الليل علينا دَمُّونْ دَمُّونُ انَّا معشرٌ يمانونْ
وانّنا لاهلنا محبُّونْ

وكل من عرف شيئاً من مبادئ العروض لا يخفى عليهِ ان هذا من مشطور السريع لا من الرجز . واغرب منهُ ما رواهُ لهُ (ص ٦٠) وزعم انهُ « من الرجز » ايضاً

ابلغ شهاباً وابلغ عاصماً هل قد اتاكَ الخُبر مالِ
انَّا تركنا منكمُ قتلى وجر حى وسبايا كالسعالي
يمشين بين أرحُلنا معترفا تٍ ما بجوعٍ وهزالِ

وعلى المطالع الاديب ان ينظر من اي بحرٍ هذه الابيات . وروى لحاتم الطآئي (ص ١٠٤) « من الطويل »

عمرو بن اوسٍ اذا اشياعهُ غضبوا فاحرزوهُ بلا غرمٍ ولا عارِ

وما ندري كيف يكون هذا من الطويل . ومثلهُ ما رواهُ لقسّ بن ساعدة (ص ٢١٦) « من مجزوء البسيط »

الحمد لله الذي لم يخلق الخلقَ عبَث

وكذا ما رواهُ (ص ٢٦٢) لبسطام بن قيس الشيباني « من الوافر »

ما للفضائل عن مديحك معزلُ ام غير بابك للانام مؤمّلُ

فليتأمل العارف في هذا الخبط الغريب ثم لينظر كيف يجوز ان يصدر مثل هذا الشعر الاخير عن اصغر غلمان العرب فضلاً عن رجل مثل بسطام ان صحّ ان لهُ شعراً . واسمع ما جآء بعدهُ

سعدٌ خُصصتَ بهِ وما من معجزٍ الآ لك فيهِ الذراع الاطولُ

اترى احداً من عامّتنا اليوم يرضى ان يُنسَب اليهِ مثل هذا الشعر . وقولهُ من هذه القصيدة ايضاً

اقبل هدية من اتاك بفرحةٍ متحققاً فيك الذراع الأطولُ

فهل من هذيانٍ بعد هذا وهل من يشك ان هذا القول المعجون بالخطأ واللغو من تلفيق القصاصين في قصة عنترة . ومن ذلك ما رواهُ (ص ٤٦٠)

لعديّ بن زيد « من السريع »

ابلغ أبيًّا على نأيهِ   وهل ينفع المرءَ ما قد علم

وروى لهُ (ص ٤٧١) « من السريع » ايضاً

انعم صباحاً علقم بنَ عديٍّ   اذا نويت اليوم لم ترحلِ

وروى لهُ (ص ٤٧٣) « من الرمل »

يا لرهطي اوقدوا نارا   ان الذي تهوون قد حارا

وروى لأوس بن حجر (ص ٤٩٢) « من الخفيف »

ايتها النفس أجملي جزعا   ان الذي تكرهين قد وقعا

وروى لعبيد بن الابرص (ص ٦١٣) « من المنسرح »

صاحِ ترى برقاً بتُّ ارقبهُ   ذات العشآء في غمائمٍ غُرِّ

فحلَّ في بركةٍ باسفل ذي   ريدٍ فشنَّ في ذي العُتيرِ

فمنْسَ فالعنابَ فجنْبَي   عردةَ فبطن ذي الأحفرِ

كذا نقلنا هذه الابيات برسمها وانظر الى اي بحرٍ تردّها اما الفاظها فاكثرها فيما نظن من البحر الهندي ... وروى لذي الاصبع العدواني (ص ٦٢٥) « من مجزوء الوافر »

وليس المرء في شيءٍ   من الابرام والنقضِ

اذا ابرمَ امراً خا   لهُ يُقضى وما يقضي

وبين هذا ومجزوء الوافر فرقٌ يعلمهُ غير حضرة الاب . ومثلهُ ما رواهُ (ص ٧٧١) لدريد بن الصمة « من مجزوء الكامل »

كانني رأسُ حَضَن   في يوم غيمٍ ودُجَن

والفرق بين هذا ومجزوء الكامل مثل الفرق بين البحرين السابقين .

وروى لعنترة (ص ٨٢٦) « من المتقارب »

ارض الشربَّة شعبٌ ووادي رحلتُ واهلها في فؤادي

قلنا رحم الله عنترة فما رأينا احداً ظُلم ظلمهُ في الشعر كما لم نرَ احداً نُسب اليهِ من الشجاعة والبطش ما نُسب اليهِ وما كان ابرّ هؤلآء الناس بهِ لو تركوا لهُ شعرهُ ولم يحلوهُ هذه الشجاعة التي لم تثبت لهُ عند العقلآء مع لصوق ذلك الشعر بهِ وهو بريء منهُ برآءة الذئب من دم ابن يعقوب . وهذا البيت من ابياتٍ بل قصائد برمتها نُسبت اليهِ حتى أُنزل الى طبقة القصاّصين ومن على شاكلتهم من جهلة العامةّ ولنا في هذا وامثالهِ من الشعر الذي اثبتهُ الاب شيخو في مطبوعاتهِ لعنترة وغيرهِ كلامٌ طويل سنعود اليهِ فيما يلي . وقد طال بنا نفَس الكلام فنقف الآن عند هذا الحد وموعدنا في استتمام رواية سائر الابيات التي اشرنا اليها الجزء الآتي ان شآء الله

اسئلة واجوبتها

برهيم (منوفية) - في نحو الساعة الرابعة بعد ظهر ١٧ يناير امطرت السمآء رذاذاً مدة عشر دقائق وبعدها ظهر نحو المشرق في السمآء هيئة منظر مستدير كشكل الهلال في أوائلهِ ولونهُ من اخضر واحمر وازرق الخ وقد كان مشترك هذه الاقسام من كل لون وسمعت العامة يسمونهُ باسم « قوس » ويعتقدون انهُ عند ظهورهِ يمتنع نزول المطر فما سبب ذلك وما اسمهُ

محمود عبد الغني زيد

الجواب ـ لا نستغرب هذا السؤال من قاطنٍ في البلاد المصرية لان هذا المنظر اي منظر قوس قُزَح او قوس السحاب لا يكاد يُرَى فيها . وهذه القوس تظهر متى كان في استقبال الشمس سحابةٌ ماطرة وكانت الشمس بقرب الافق والناظر مستدبرٌ لها وعلة ظهورها انعكاس اشعة الشمس عن قطرات المطر المتساقط من الجوّ بعد انكسارها فيها وانحلالها الى الوانها السبعة وهي الاحمر والنارنجي والاصفر والاخضر والازرق والنيلي والبنفسجي ويظهر الاحمر في أعلى القوس وتحتهُ النارنجي ثم الاصفر ثم الاخضر وهلمَّ جرًّا الى البنفسجي على ترتيبها المذكور . وهذا تراهُ في كل قطرة من قطرات الندى اذا وقعت عليهِ الشمس وكذا من البلور وما اشبههُ من الجواهر اذ ترى هناك الالوان السبعة لكن في قطرات السحاب لا نرى من كل قطرة الاَّ لوناً واحداً لان الالوان تخرج منها منتشرةً فلا يدخل العين منها الا شعاعٌ واحد هو الذي توافق جهتها جهة انكسارهِ ولذلك تجتمع هذه الالوان على هيئة طرائق تترتب بحسب زوايا انكسارها ويرى اعلاها الاحمر لانهُ اضعف الاشعة انكساراً واسفلها البنفسجي لانهُ اشدها انكساراً وما بينهما بين ذلك على الترتيب الذي ذكرناهُ . ثم ان هذه القوس تكون عادةً شفعاً اي قوسين احداهما وهي الاصلية من داخل والاخرى من خارج والتي من خارج يكون ترتيب الالوان فيها على عكس ترتيبها في الاصلية اي يكون اعلاها البنفسجي وتحتهُ النيلي ثم الازرق وهلمَّ جرًّا الى الاحمر وتكون الوانها اقلّ نصوعاً من الوان الاصلية . وفي تفصيل كل ذلك وبيان عللهِ الطبيعية شرح طويل يقتضي مقدماتٍ مسهبة لا موضع لها هنا

الزقازيق ـ نرجو ان تجيبونا عن هذين السؤالين

(١) بما ذا تميز مَن الشرطية من مَن الموصولة

(٢) معلوم ان قد اذا دخلت على الماضي تكون للتحقيق ولكن اذا دخلت على المضارع فهل تكون تحقيقية على كل حال ام تدخل على المضارع للاحتمال مثل « قد تقع الرؤيا كما رؤيت » فان المعنى يقتضي في هذا المقام انها احتمالية ولكنها في مقام آخر لاتفيد الاحتمال كما في قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك في السماء » بل الظاهر انها تفيد التحقيق فما الصواب في ذلك

احد القرآء

الجواب ـ اما تمييز مَن الشرطية من مَن الموصولة فلا يخفى ان الشرطية هي الموصولة بعينها لكنها تُضمَّن معنى الشرط فيُجزَم بها وحينئذٍ يلزمها التصدر فلا يعمل فيها مما قبلها الا عامل الجرّ من حرفٍ او مضاف · ولك في هذه الحالة ان لاتعتبر فيها معنى الشرط فتعدّها اسماً موصولاً وترفع الفعل بعدها بالتجرد ومن هذا قول الراجز

مَن لا يزالُ شاكراً على المعَهْ فهوَ حرٍ بعيشةٍ ذات سعَهْ

واما اذا دخل عليها من العوامل ما ينقض صدارتها كأن تقع فاعلاً اومفعولاً بهِ او غير ذلك فهي موصولة لا محالة

واما قد فاشهر معانيها مع المضارع التقليل نحو قد يصدق الكذوب ومنهُ « قد تقع الرؤيا كما رُؤيت » ·وقد تكون للتوقع نحو قد يقدم الغائب اليوم وهو يرجع الى معنى التقليل كما لا يخفى · وقيل قد تأتي مع المضارع للتكثير كما في قول الشاعر

قد اشهد الغارة الشعوآء تحملني جردآء معروقة اللحيين سرحوبُ

والتحقيق نادراً نحو قد يعلم ما انتم عليهِ وبكليهما فُسِّر قولهُ « قد نرى تقلب وجهك في السمآء » والله اعلم

كلٌّ من عليها فان

ورد علينا من انبآء مرسيليا ما شقّ على المسامع والقلوب وتلقّتهُ الصدور بالانقباض والجباه بالقطوب ألا وهو نعي وطنيّنا العالم النحرير المحقق والكاتب البليغ المتأنق المرحوم عبد الله المراش الشهير احد نوابغ العصر الحالي بل احد كواكب الشرق الذي حسدنا عليهِ الغرب فاستأثر به أُخرَى الليالي قبضهُ الله اليهِ في السابع عشر من هذا الشهر عقب مرضٍ لم تَطُل مدّة المامهِ ولم تخطئ صوائب سهامهِ ولهُ من العمر احدى وستون سنةً كان فيها عنوان الفضل والاريحيّة ومثال النُبل والأَلمعيّة فذهب مزوّداً بما قدّم من صالح الاعمال مذكوراً بما عُرِف بهِ من محاسن الصفات ومحامد الخلال مطر الله بصيّب الرضوان جوانب لحدهِ وأجمل صبر آلهِ ومحبيّهِ على فقدهِ وعوّض الادب وذويهِ خيراً من بعدهِ

وسننشر ترجمتهُ مع رسمهِ في الجزء التالي ان شآء الله

فكاهات

رواية

كيد المتناظرين (١)

رُوي ان واحداً من اكابر رجال البحرية الانكليزية اسمهُ ولكوت استقال من منصبهِ ومال الى السفر فجعل ينتقل من مكان الى آخر حتى بلغ الآستانة فأعجبتهُ الاقامة بها وبعد ان اقام مدةً وُفّق الى منصب رفيع في حكومتها فاختار بقعةً من الارض على شاطئ البسفور بنى فيها قصراً بديعاً وغرس حولهُ حديقةً غناء ثم تزوج بفتاةٍ رومية رزقهُ الله منها ابنةً دعاها اميليا ثم توفيت الزوجة فبقي الاب مع ابنتهِ يعتني بتربيتها وكانت سلوتهُ الوحيدة

وكان في انكلترا فتًى من اشرافها يدعى سسل توفي والداهُ وتركا لهُ مبلغاً وافراً من المال وكانت لهُ ابنة عمٍ اسمها كاترين اشتهرت بجمالها فجعل والدها يسعى في توثيق علائق الوداد بين كاترين وسسل ليزوجها بهِ ويضمن لابنتهِ زوجاً شريفاً ومستقبلاً سعيداً . اما سسل فلم يكن يميل الى كاترين وكان يجتهد في الابتعاد عنها بخلاف ما كانت عليهِ هي فانها مالت بكليتها اليهِ وبالاحرى مالت الى غناهُ واخذت تعلل النفس بالحصول عليهِ وبانها

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ستمتلك ثروتهُ فتنفق منها عن سعة على ملابسها وحليها وادوات زينتها فكانت لا تكفّ عن متابعة سسل حيثما ذهب وتقف في سبيلهِ اين سار حتى ضاق صدرهُ ولم يجد سبيلاً لاغتنام بعض الراحة منها الا ان يخرج حيناً للسياحة فسافر في ممالك اوروبا وزار عواصمها و بلغ الاستانة فتعرف بولكوت ودعاهُ هذا لقضآء بضعة ايام عندهُ وكان قد اعجبهُ موقع بيتهِ وحديقتهُ الغنآء فلبى الدعوة مسروراً . ولما كان في الليلة الاولى بعد العشآء جلست اميليا الى البيانو وشرعت توقّع الحاناً اخذت بمجامع فؤاد سسل فاقترب من كرسيها وجعل يتأمل في حركاتها ومحاسنها فرأى جمالاً مفرطاً وذاتاً فتانة قد اجتمعت فيها العظمة الانكليزية والرقة الشرقية فافتتن بها وشعر اليها بميلٍ غريب . ولما فرغت من الحانها جلست الى جانبهِ تحادثهُ في امور شتى فالفى هناك فصاحةً وقوة تعبير وذكآء وكانت تعتذر اليهِ من آن الى آخر انها وان تكن ابنة رجل انكليزي فهي تخاف ان تكون قد قصرت في الواجبات التي تُطلب من السيدة الانكليزية نحو ضيفها لانها لم تزر انكلترا بعد ولم تدرس قوانين جمعياتها . فلم يكن كلامها الا ليزيد سسل افتتاناً بمحاسنها ويقوّي نبض الحب في قلبهِ . وقضى هنالك بضعة ايام كانت لهُ من خُلس الدهر وكان يتمنى لو يقضي مدةً طويلة ولكن اعترضهُ لزوم السفر . فلما كان مسآء اليوم الذي نوى السفر في صباح غدهِ نزل واياها الى الحديقة يجولان بين رياحينها وازهارها وبينما هما يتمشيان قال سسل انكِ ولا شك سعيدة في هذه الجنة البديعة . فتنهدت اميليا وقالت اني اكون اعظم سعادةً لو كنت انكليزية . قال ولكنكِ انكليزية الآن . قالت نعم ولكنّي اشتهي لو اكون في

نفس انكلترا اعاشر اهلها وادرس كل جديد في عوائدها . ورأى سسل تلك الفرصة موافقة للاعتراف لها بحبهِ فقال اذا كان كذلك فاني اقف قلبي ويميني لابلغكِ هذه الامنية فهل ترومين الحصول عليها بواسطتي . فلم تبدِ اميليا جواباً بل اطرقت برأسها الى الارض وكان الغسق قد خيم فلم يتمكن سسل من مشاهدة احمرار وجنتيها وبريق عينيها لكنهُ شعر بميلها الشديد اليهِ . وبينما هما كذلك سمعا صوت ولكوت يناديهما في الحديقة فامسكا عن الحديث حتى وافاهما واجتمع بهما فتحادثوا حيناً ثم صعدوا جميعاً الى القصر ولم يعد يتيسر لهما التكلم بشيء آخر في تلك الليلة . وفي الصباح قام سسل مودعاً وشاكراً ولما ودعتهُ اميليا القت في يدهِ شيئاً . وكان سسل يسير وهو شاعر بان قلبهُ باقٍ هناك لكنهُ تجلد الى ان يرى ما يجيءُ بهِ المستقبل . وكان الذي القتهُ اميليا في يد سسل قلباً من ذهب قد نُقش عليهِ كلمة لا تنسني فاخذ سسل يقبّل هذا الاثر ثم علقهُ الى سلسلة ساعتهِ

ولما عاد سسل الى انكلترا لم يقر لهُ قرار وقد شغلت افكارهُ اميليا فلم يعد يسر بشيء من كل ملذات لندن بل يفكر في ما عساهُ ان يفعل ومتى يعود الى اميليا . ولما جاءهُ عمهُ مسلماً عزم ان يخبرهُ بما طرأ عليهِ فقال لا اكتمك يا عماه ... فقاطعهُ عمهُ قائلاً ان كتمت او لا فانا عالم بمحبتك لكاترين وان احدكما لا يكون سعيداً بدون الآخر فسأجتهد ان اعجل في قرانكما . قال سسل ولكن احب ان اخبرك ان ... قال كفى كفى لا لزوم لاطالة الحديث فالامر معلوم وفي ظني ان كاترين ستزورك بعد قليل . ثم ودعهُ وخرج بمزيد السرعة ولم يترك لسسل فرصة لتوضيح افكارهِ

ولما كان المسآء ذهب سسل الى نادٍ ليسرّي ما بهِ من القلق فاجتمعت عليهِ اصدقآؤهُ يهنئونهُ باياب‍هِ ثم قال احدهم وانا اهنئك بقرب قرانك واسأل الله ان يكون قراناً سعيداً . فاجفل سسل وقال ماذا تقول . قال عجباً افيكون ما قرأتهُ اليوم في احدى الجرائد مختلقاً . وللحال تناول جريدة بجانبهِ وقرأ فيها ما يأتي

« قد عاد المستر سسل من سياحتهِ وسيُحتفل عن قريب بعقد قرانهِ على ابنة عمهِ كاترين والاستعداد لذلك قائمٌ منذ الآن »

فبهت سسل وخطر لهُ ان يكذّب الاشاعة في الحال ولكنهُ خشي ان يعقب ذلك كلام يشين شرفهُ او شرف عمهِ فامسك وبعد قليل خرج من النادي وتوجه الى قصرهِ حزيناً آئساً وتناقلت الجرائد الخبر فجعلتهُ حقيقةً وكبر الامر على سسل ولم يعلم بأي وجهٍ يمكنهُ التكذيب وانتهى اخيراً بان قال ارى القضآء يدفعني جبراً الى الاقتران بكاترين ويبعد عني الملَك الذي احبتهُ نفسي فلعل ذلك لحكمةٍ الهية اجهلها الآن . وتجسم عندهُ هذا الفكر حتى صمم على نسيان اميليا واجتهد ان يبتعد عن كل ما يقرّب اليهِ تلك الذكرى لكنهُ لم يستطع ان ينزع القلب الذهبي المعلق بساعتهِ فابقاهُ وسلم نفسهُ للقدر المتاح منتظراً ما عساهُ ان يقضي بهِ في امر ابنة عمهِ الا انهُ لم يكن يهتم بها ولا يزورها الا اذا دعاهُ والدها الى تناول طعام او قضآء سهرة

وكانت كاترين على اعظم مبلغ من الذكآء والجمال وكان الشبان يترامون على اقدامها ولكنها لم تكن تميل الى احدٍ منهم ولما رأت عدم مبالاة سسل بها احرقتها نيران الغيرة وقد علمت بكل ما كان منهُ في رحلتهِ الى الآستانة

فظنت انها ربما امالتهُ اليها اذا سمحت لمريديها ان يوالوا زياراتهم لهـا غير انهُ لم يكن ذلك ليؤثر في سسل وكان لا يرى نفسهُ الاَّ مشرَّد الافكار تائه البال . وكان من المولعين بكاترين شابٌ تركي من السفارة العثمانية في لندن اسمهُ يوسف بك فسمحت لهُ كاترين بالتردد عليها لتغيظ سسل ولامورٍ اخرى مطوية بينهما . وفي ذات يوم بينما كان سسل سائراً في طريقهِ اذا برجلٍ فقير الحال قد عارضهُ في طريقهِ طالبًا صدقة فمد سسل يدهُ الى جيبهِ لينقدهُ شيئًا وللحال اختطف السائل القلب الذهبي من ساعة سسل وفرَّ هاربًا . فتبعهُ سسل مسرعًا وما زال يعدو في اثرهِ الى ان فاتهُ فاضطرَّ الى الرجوع وقد بلغ منهُ الغضب والتعب فاعلم بالامر الشرط وعاد الى بيتهِ مغمومًا . وكان مدعوًّا لتناول طعام المسآء عند عمهِ فصبر ريثما استراح قليلاً ثم توجه الى هناك ودخل بدون ان يعلم بهِ احد الى غرفة الاستقبال فوجد كاترين ابنة عمهِ وامامها يوسف بك يناولها شيئًا لمعت منهُ لمعةٌ ذهبية وسمعهُ يقول لها ها قد اتممت الشرط الاول والثاني سأتممهُ عن قريب . ولما رأيا سسل امتقع لونهما وذهب كلٌّ الى ناحية . اما سسل فحدثتهُ نفسهُ ان يتهم ابنة عمهِ ورفيقها وقال لعل هذا الخبيث هو الذي سلب مني القلب ليحضرهُ اليها لانني اعلم ان كاترين لا تميل الى مرأى هذا التذكار . ثم خطر لهُ ان يتقدم الى كاترين ويطلب منهـا ان تريهُ الحلية الذهبية التي دفعها اليها يوسف بك ولكنهُ خشي ان يكون في ذلك ما لا تحسن عاقبتهُ فصمت وقضى بقية وقتهِ في محادثة كاترين . ورأت كاترين منهُ ميلاً اليها فهمَّت ان تطامهُ على حقيقة مؤامرتهـا مع يوسف بك وتردَّ اليهِ القلب

الذهبي وتطلعهُ على شرٍّ اعظم كانت قد دبَّرته وتسألهُ الصفح ولكنها ما لبثت ان تغلَّب عليها روح الشرّ فصمتت عن كل ذلك

وفي اليوم الثاني سافر يوسف بك برخصةٍ الى الآستانة لمهماتٍ خصوصية وكان سسل يتناسى شيئاً فشيئاً شاطئ البسفور وساكنيهِ وقد رأى ان لا مناص لهُ من الاقتران بكاترين ومرَّت عليهِ بضعة ايام وهو في مزيد القلق والحيرة الى ان كان ذات يوم جالساً في النادي وقد اخذ جريدةً يسرّح نظرهُ فيها فوقع بصرهُ على عبارة فهم منها « ان اللص الشركسي الشهير اسماعيل قد نزل بعصابتهِ على بيت ولكوت فاختطف ولكوتِ وابنتهُ اميليا الى البراري التي يأوي اليها وانهُ لا يسلم الرجل وابنتهُ الاّ بفدية قدرها ستة آلاف جناي » فما اتم قرآءة هذا الخبر حتى قدحت عيناهُ شراراً ثم وقف وقال هل يكون لي مال وعندي قوة وتهلك اميليا . كلاّ ثم كلاّ . وللحال اسرع الى السلك البرقي فطيَّر ثلاث رسائل الاولى الى سفير انكلترا في الاستانة يقول لهُ ان الفدية المطلوبة لاخلاء سبيل ولكوت وابنتهِ ستصل قريباً فيجب اعلام اللصوص بذلك . والرسالة الثانية الى صرّافهِ الخصوصي يأمرهُ ان يرسل مبلغ ثمانية آلاف جناي لامرهِ في بنك الآستانة . اما الرسالة الثالثة فكانت الى عمهِ يخبرهُ انهُ سيتغيب فجأةً لاسبابٍ عظيمة الاهمية ووجهتهُ الاستانة . وكانت كاترين في غرفة الاستقبال تقرأ في الجريدة خبر اختطاف ولكوت وابنتهِ وهي تقول في نفسها قبحك الله يا يوسف فقد وعدتني انك لا تصل الى هذا الفعل الاّ بعد نفاد كل الوسائل الاخرى فيالك من قاتل . واذ ذاك دخل عليها والدها وبيدهِ رسالة سسل فادركت للحال انهُ سافر لهذا السبب ثم تمثلت لها ردآءتها

وما اتفقت عليهِ مع يوسف للاقتصاص من تلك الفتاة البريئة وتجسمت امامها شرورها فخافت وسقطت الى الارض امام والدها وهي تصيح تباً لي من شقيَّة تبًّا لي من مجرمة شريرة ثم اغمي عليها . ولم يدرِ والدها شيئاً من ذلك سوى انهُ امر بنقلها الى سريرها وتنشيقها الادوية المنعشة فأفاقت ثم طلبت ان تُترَك لنفسها ونامت

اما سسل فما زال يصل السير بالسرى الى ان بلغ الآستانة وتوجه توًّا الى بيت السفير ولم يألُ سعياً في السؤال عن الذرائع التي يجب اتخاذها لخلاص اميليا ووالدها وبعد مراجعة زعيم اللصوص ارسل السفير بعضاً من رجالهِ لملاقاة اسماعيل وجماعتهِ في المكان المعين لتسليمهِ النقود والاستيلاء على ولكوت وابنتهِ . وكانت اميليا جالسة بالقرب من والدها وهما مكبلان بالقيود الحديدية فقال الوالد لا أمل لنا في النجاة مادام المبلغ المطلوب للفدية باهظاً بهذا المقدار. فقالت اميليا كيف ذلك أَوَلا تقدّر استطاعتك يا أبي باضعاف هذا المبلغ . قال بلى ولكن من لنا بانسان يهمهُ امرنا ليسعى في جمع المال . قالت لا يحتاج الامر الى جمع مال وانا واثقة بانهُ متى بلغ خبرنا الى سسل لا يتأخر عن دفع المبلغ والسعي في الافراج عنا وان يكن قد قطع حبل آمالي بكتابهِ الاخير . ولما قالت ذلك اجهشت بالبكاء فبكى والدها ايضاً وبينما هما كذلك وافاهما زعيم الاشقياء وقال هلمّ بنا نسلمكما الى السفير فقد اخبرنا ان فديتكما قد وُجد من يؤديها. قالت اميليا وهل عرفت اسم هذا المحسن. قال لا ولكنهُ انكليزي قدم من انكلترا لهذه الغاية . ثم سار الزعيم اسماعيل برجالهِ والاسيرين الى المحل المعهود ولما قربوا منهُ قدم نفرٌ من ناحية السفير

باكياس المال وتوجه نفرٌ من رجال الزعيم يقودون الاب وابنتهُ وهكذا تبودلت الامانات وسار كلٌّ في طريقهِ . ولكن لم يبتعد الزعيم برجالهِ كثيراً حتى عاد واغار فاختطف اميليا من يدي والدها واركبها امامهُ على جوادهِ وانطلق وانما فعل ذلك طمعاً في فدية اخرى لما رأى ان الفدية الاولى قد دُفعت بسهولة . وكان سسل خبيراً بغدر اولئك اللصوص وقد خطر لهُ من قبلُ امكان حدوث مثل هذه الفعلة فاستدعى عدداً غفيراً من اصحابهِ الانكليز وذهبوا بخيولهم الى الصيد فقادهم عن بعد الى المحل الذي تعين فيهِ فك الاسيرين وجعل يراقب ما يجري ولما رأى اختطاف الزعيم لاميليا بعد ان اخذ الفدية صاح باصحابهِ فهجموا بسيوفهم ولم يكن الاّ كلمح البصر حتى اغار سسل على الزعيم اسماعيل وبادرهُ بطعنة قاضية واستخلص اميليا وفرّ اللصوص بعد ان قُتل اناس منهم وجُرح آخرون وعاد اصحاب سسل باكياس المال وقد استرجعوها من اللصوص . وكانت اميليا غائبة عن الرشد فلما افاقت وجدت نفسها في البيت والى جانبها والدها وسسل فاقبل كلاهما يشكران سسل على همتهِ وفضلهِ في تخليصهما . ورأى سسل في جمال اميليا وسحر عينيها ما ذكرهُ ايامهُ الاولى وخاف ان هو تأخر هناك ان تعاودهُ افكارهُ السابقة و يعرّض نفسهُ لكلام القادحين اذا خان ابنة عمهِ كاترين فصمم على مغادرة المكان في الحال واجتهد الوالد والابنة في اقناعهِ بالبقآء اياماً فأبى . ولما قام مودعاً لمح في عنق اميليا سلسلة ذهبية وقد علّق بها القلب الذهبي الذي اهدتهُ لهُ سابقاً وسُلب منهُ في انكلترا فلمّا رآهُ صاح كيف وصل اليكِ هذا القلب . قالت قد وصلني مع رسالتك على يد يوسف بك فهل نسيت ذلك . فملا الدم وجه سسل

وقال وايّ رسالةٍ هذه ارينيها الآن في الامر خيانة . فلما اطلعتهُ عليها عرف للحال كتابة ابنة عمه كاترين وكُشفت لباصريهِ الحيلة ورأى من دناءة كاترين في كتابتها ما استطار رشدهُ فاخبر اميليا بجلية الخبر واعلمها انهُ لم يمل الى سواها وانهُ يشكر العناية على ما دبرت ليعود اليها ولا يقع في شرك تلك الخبيثة ثم عدل عن السفر ووعدهم بالاقامة اياماً

اما يوسف بك فرجع بعد اكمال مسعاهُ الى انكلترا ودخل توّاً الى غرفة كاترين فرآها جالسة الى سريرها فقال قد اتممت مهمتي فهل تعدينني بيدك . قالت معاذ الله ان اقترن بمثلك وهل بلغ من سخافة عقلك انني اقبل بذلك وادخل بيتك واقيم مع نسآئك كلاّ لن يكون ذلك وان كنت قد استخدمتك لاغراضي فانا ارفع من اقرن يدي بيدك . وبلغ الغيظ من يوسف بك مبلغاً عظيماً فاخرج من جيبهِ زجاجة صغيرة وصب منها على منديلهِ ثم هجم على كاترين ووضع المنديل على انفها ولم يرفع يدهُ حتى فارقت الحياة ولما تيقن ذلك خرج الى حيث لايدرك لهُ اثر

واما سسل فلم يبطئ بعد ذلك ان عُقد لهُ على اميليا ولبث مقيماً في بيت حميهِ الى ان وصلتهُ رسالة من عمهِ يستدعيهِ سريعاً فذهب تصحبهُ زوجتهُ اميليا ووالدها فرأى عمهُ على فراش الموت وكان قد علم بموت كاترين فقصَّ عليهِ عمهُ خبر موتها واطلعهُ على كل ما حدث في مدة غيابهِ ثم اوصى لهُ بمالهِ . وبعد ان توفي استولى سسل على اموال عمهِ وعقاراتهِ وعاش مع بيت حميهِ بسلام الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات

———•———